بناء المقالة في مجموعة (آفاق قرآنية)
لعماد الدين خليل
ـ دراسة تحليلية ـ

د. نبهان حسون السعدون*

ملخص البحث:

تم اختيار الأديب الموصلي (الدكتور عماد الدين خليل، أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب–جامعة الموصل) ميداناً للبحث لما تحمل مقالاته ولاسيما مجموعة (آفاق قرآنية) من تجارب وقيم ووقائع مما يعرض في حياتنا اليومية الراهنة أو في ساحات الفكر على مستوى الأبعاد الموضوعية من خلال الرؤية الإسلامية، أو على مستوى الأبعاد الفنية من خلال بناء المقالة لذا جاء هذا البحث ليجري دراسته على هذه المجموعة المقالية من خلال تحليل نصوصها وبيان أبعادها الموضوعية والفنية والكشف عن الدلالات المختلفة التي تمخضت عنها بمدخل وأربعة مباحث. تضمن المدخل تحديد مفهوم المقالة وأنماطها. وأختص المبحث الأول بدراسة (العنوان) في حين درس المبحث الثاني (المقدمة)، أما المبحث الثالث فتناول دراسة (عرض الموضوع) وأختص المبحث الرابع بدراسة (الخاتمة).

Constructing Essay in Imad Al Deen Khaleel *Quranic Horizons* Analytic Study

Dr. Nabhan Hasson Al Saadoon
College of Islamic Sciences / Mosul University

ABSTRACT

The Muslawi writer, Dr. Imad Al Deen Khaleel's, professor of Islamic History at the College of Arts, Mosul University, *Quranic Horizons* collection is being examined in this study as his essays is rich with daily experiments and values. Texts of these essays and their artistic and topic

* مدرس/ قسم الشريعة/ كلية العلوم الاسلامية.

dimensions are analyzed to reveal their various significance. The study consists of an introduction and four sections. Concept of essay, types and features are dealt with in the introduction. Section one deals with the title, section two deals with the introduction, section three deals with subject and section four deals with the conclusion.

مدخل إلى مفهوم المقالة وأنماطها:

لفظ المقالة في اللغة العربية مأخوذ من الجذر (ق.و.ل) "قال يقول قولاً وقيلاً وقولة ومقالاً ومقالة"[١] ويجمع القول على أقوال، وجمع الجمع أقاويل إذ يكون القول في الخير، والقال والقيل في الشر، والقول مصدر والقال أسم له[٢].

استخدم لفظ المقالة في التراث الإسلامي بمعنى البحث أو المسألة أو المذهب كما نجد عند أبي الحسن الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين) ويقصد بها المذهب كما نجد ذلك عند أبي حيان التوحيدي في كتابه (الإمتاع والمؤانسة) إذ يقول عن الصاحب بن عباد انه كان يتشيع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيدية[٣].

يعرف النقاد الغربيين المقالة من حيث المصطلح عدة تعريفات[٤] إذ يقول جونسون "انها نزوة عقلية لا ينبغي ان يكون لها ضابط من نظام هي قطعة لا تجري على نسق معلوم ولم يتم هضمها في نفس كاتبها وليس الإنشاء المنغم – في نظره – من المقالة الأدبية في شيء". أما موري فيعرف المقالة بأنها "قطعة إنشائية ذات طول معتدل تدور حول موضوع معين أو حول جزء منه" في حين يعرفها ادموند جويس كما عرفها سابقه ولكن يضيف قائلاً: "تكتب نثراً وتلم بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقة سهلة سريعة ولا تعني إلا الناحية التي تمس الكاتب عن قرب". ومما سبق فان جونسون يعرف المقالة تعريفاً أقرب إلى الإنشاء منه إلى الاصطلاح. أما موري فيكاد يكون تعريفه اصطلاحياً. أما ادموند جويس فيقصد في تعريفه المقالة الذاتية التي تعنى بالكاتب نفسه ولا حاجة للتصريح بانها تكتب نثراً لان المقالة كما هو معروف فن نثري فلا يوجد على الاطلاق مقالة شعرية.

يقترب تعريف محمد يوسف نجم من تعريف جويس إذ يقول: "قطعة نثرية محدودة في الطول أو العرض تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق وشرطها الأول ان تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب"[٥]، ومما سبق يضيف محمد يوسف نجم طريقة الكتابة التي تكون بشكل عفوي سريع الا تكون العفوية عيباً في الأدب كما أن الكاتب لابد من ان تكون لديه

قصدية في تقديم قطعته النثرية عن الموضوع الذي يريد عرضه. وعلى هذا تكون هناك قصدية في اختيار الموضوع وعرضه وتقديمه وأسلوبه.

يمكن صياغة تعريف اصطلاحي للمقالة بالاستفادة من جهود الباحثين على وفق الآتي: المقالة: قطعة نثرية معتدلة الطول[٦] تمثل نوعاً من الابداع الأدبي في موضوع ما أو موقف ما يعكس فيه الكاتب تجربته أو رؤيته الموضوعية باسلوب أدبي مؤثر[٧] يعتمد التراكيب والمفردات بشكل جمالي خاص لكي يمنح مقالته قوة في التعبير والتأثير والاقناع[٨].

تقسم المقالة عند الدارسين إلى نمطين هما: المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية[٩] أو المقالة الأدبية والمقالة التعليمية[١٠] أو المقالة الفنية والمقالة غير الفنية[١١] إذ تعالج المقالة الذاتية موضوعاً محدداً يعبر به الكاتب عن نفسه باسلوب يؤثر فيه على القارئ[١٢] ويكون هذا النمط من المقالة في عدة أشكال هي[١٣]: الصورة الشخصية، ومقالة النقد الاجتماعي، والمقالة الوصفية، ووصف الرحلات، ومقالة السيرة، والمقالة التأملية، أما المقالة الموضوعية فتقوم على جمع المادة وترتيبها وتنسيقها وعرضها باسلوب واضح جلي، وهذا النمط من المقالة يقوم عليه أدبنا المقالي اليوم[١٤] ويكون في عدة أشكال هي[١٥]: المقالة النقدية، والمقالة الفلسفية، والمقالة التاريخية، والمقالة العلمية، ومقالة العلوم الاجتماعية.

المبحث الأول: العنوان

يُعرف ليو. هـ. هوك العنوان بانه "مجموعة العلامات اللسانية التي يمكن أن تدرج على رأس نص لتحدده أو تدل على محتواه العام وتعزي الجمهور المقصود بقراءته"[١٦] إذ يشكل العنوان عنصراً أساسياً في النص الأدبي ولاسيما النص النثري[١٧] فهو بمثابة مفتاح النص وله صلته الوثيقة بالكاتب والمتلقي فضلاً عن ارتباطه بالبنية الكلية للنص[١٨]. وقد كان العنوان ولا يزال يقف عنده الكتاب كثيراً قبل أن يختاروا نصوصهم الأدبية[١٩] وذلك للوظائف التي يؤديها التي يمكن تحديدها بحسب التعريف السابق عند ليو. هـ. هوك على وفق الآتي:

١. تعيين النص ٢. تحديد المضمون ٣. التأثير في الجمهور.

لقد ازدادت أهمية العنوان في النقد الحديث من حيث هو نص صغير مع نشأة الشكلية والبنيوية والسيميائية إذ يؤدي وظائف شكلية وجمالية ودلالية تعد مدخلاً لنص كبير كثيراً ما يشبهونه بالجسد رأسه هو العنوان[٢٠] فالعنوان إذن علامة بارزة في تحديد النص أولاً والكشف عن مجموعة من الدلالات الرمزية ثانياً[٢١].

ومن الوظائف التي قال بها رومان ياكوبسون للغة يمكن تحديد وظائف العنوان وهي: الانفعالية والإنتباهية والمرجعية والإفهامية والميتالغوية والشعرية[٢٢] وبهذا تكون وظائف العنوان ستاً ثم يضيف اليها هنري ميتران الوظيفتين التحريضية والايديولوجية[٢٣] في حين يحدد جيرار

جينيت أربع وظائف هي[٢٤]: الوظيفة الوصفية والوظيفة الدلالية الضمنية والوظيفة والمصاحبة الايحائية والوظيفة الاغرائية. ولا يخرج شارل جريفال عن وظائف العنوان في ثلاثة أمور هي[٢٥]: التحديد والايحاء والقيمة.

١. **العنوان الرئيس للمجموعة والعناوين الفرعية للمقالات:** تحمل مجموعة عماد الدين خليل عنواناً رئيساً هو (آفاق قرآنية) فضلاً عن أربعة وأربعين عنواناً فرعياً. إذن يتكون العنوان الرئيس من كلمتين (آفاق) و (قرآنية) وجاءت (آفاق) جمعاً تكسيراً إذ إن مفردها (أفق) وهذا الجمع استخدام قرآني كما جاء في الآية ٥٣ من سورة فصلت ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾.

لقد جاءت (آفاق) نكرة لكنها أصبحت معرفة عندما جاء وصفها بـ (قرآنية) والمقصود من العنوان (آفاق قرآنية) هو المعنى المجازي على مستوى الفكر لا على مستوى المسائل المادية العلمية بأفق الكون أو ما إلى ذلك. وهذا العنوان يحيلنا على أن النصوص المقالية جاءت بحسب رؤية القرآن الكريم وأن مضمونها هو الفكر الإسلامي يقدمها الكاتب للتأثير في المتلقي بموضوعاتها وفنيتها عن طريق ما يصاحب العنوان ومحتوى كل مقالة ضمن المجموعة.

ويمكن سرد العنوانات الفرعية للمقالات على وفق الآتي[٢٦]:

١. المشروع الدائم.
٢. العزف على الحسناء.
٣. بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه.
٤. الكلمة: فعل يلتزم ويثور.
٥. نحن نعيش أزمتين.
٦. من مسيلمة الكذاب إلى الدكتور.
٧. التوازن المعجز.
٨. الذين يبحرون ضد أنفسهم.
٩. العمل الذي يهز أفئدة الناس.
١٠. الله وفرعون ورائد الفضاء.
١١. نكون مهندسين أو لا نكون.
١٢. بورجوازي قذر.
١٣. موقف الإيمان والمحبة.
١٤. الصلاة.. ذلك التناظر المدهش.
١٥. إن لم يكن الالحاد غباءُ فماذا يكون.
١٦. الكلمة عندما تشيخ.
١٧. الموقف الرخيص.
١٨. العودة إلى المرافئ الاقليمية.
١٩.لكيلا تأسوا على ما فاتكم.
٢٠. القرآن والكلمة المقاتلة.
٢١. القرآن وحالة الحرب.
٢٢. روعة التنافر أم قوة التنفيذ.
٢٣. أسطورة الانعكاس والرفض.
٢٤. لأنه يعلم السر.
٢٥. واحد + واحد = اثنان.
٢٦. إنما الأعمال بالنيات.
٢٧. كتاب ليس كالكتب.
٢٨. أفرُ من قدر الله إلى قدر الله.
٢٩. الكلمة: عندما تصنع التاريخ.
٣٠. البداهة المؤمنة.. ذلك المعلم الحاذق.

٣١. الحوار الخلاق.
٣٢. سورة الحديد: يا لها من تسمية.
٣٣. ألا يستعيدنا التراث.. ذلك هو الجواب
٣٤. أحبار الشهادات.
٣٥. مأساة الانفصال والاندماج.
٣٦. معطيات الصدق والتوحد.
٣٧. القمر: من الجانب المظلم.
٣٨. التوافق العظيم.
٣٩. الحرب والإنسان.
٤٠. ليس تقليداً.. لكنه مسؤولية.
٤١. جربوا بأنفسكم.
٤٢. ليست الحقيقة أمراً كلياً.
٤٣. نداء الحدود والمطلق.
٤٤. المعادلة المركبة.

٢. وظائف العنوان: تحقق العنوانات في مقالات عماد الدين خليل ثلاثة وظائف هي: الدلالة واللغة والتعبير.

أ. الدلالة: بعد الاطلاع على العنوانات الفرعية للمجموعة يمكن ان تقسم دلالاتها على وفق ثلاثة أبعاد هي: البعد الواقعي، والبعد الفكري، والبعد العلمي. فمن العناوين التي تصور البعد الواقعي مقالة (نحن نعيش أزمتين) انهما أزمة ضياع الروح في العالم المادي الذي يحاصر الانسان في كل مكان، وأزمة ضياع الأرض في عالم لا يتيح لنا أن يقول كل ما عنده. ومن ذلك أيضاً عنوان مقالة (الحرب والإنسان) التي تعرض حياة الإنسان مع الحرب من خلال الأدب الروائي العالمي من مثل رواية (ذهب مع الريح) لمرغريت ميتشيل ورواية (الحرب والسلام) لتولستوي، ورواية (الدون الهادئ) لميخائيل شولوخوف، ومن ثم الحرب في التاريخ الإسلامي. وكيف نحدد الفرق بينهما ففي الأدب العالمي نجد رخص الإنسان وحقارته ومجانية الدم الإنساني وابتذاله في حين نجد في حروب التاريخ الإسلامي غلاء الدم وشرف الإنسان وكرامة بنيان الله تعالى في الأرض.

وتأتي دلالة البعد الفكري الإسلامي وغيره جلية في عنوان مقالة (التوازن المعجز) إذ أن من أروع الجوانب في بنيان الإسلام وحبكته الإلهية المعجزة هو التوازن الفذ بين الفرد والجماعة. انه الترابط والتناسب الذي يشد الأمة الإسلامية. انه التناظر بين نزعة الذات بفرديتها واستقلالها ونزعات المجموع بتشابكه وتداخله وتوحده. ومن العنوانات التي تحيل على دلالة الفكر الإلحادي مقالة (إذا لم يكن الإلحاد غباءً فماذا يكون)، فالإلحاد مهما أدعى على نفسه العلمية في إقامة أسس مقبولة فانه لا يعدو أن يكون بلادة وغباءً: بلادة في الإحساس وغباء في قدرة الفكر على تجاوز المحسوس والملموس والمنظور والإيمان بما وراءها جميعاً مما لا تحسه أجهزتنا المحدودة ولا تمسه الأيدي ولا تدركه الأبصار.

ويقدم عنوان مقالة (روعة التناظر أم قوة التنفيذ) تقابلاً بين الفكر الإسلامي والفكر الوضعي إذ أن مأساته على مدار التاريخ بما طرحه المفكرون الوضعيون من نظريات وآراء

تكمن في عدم رؤية شيء واحد أشد أهمية هو إمكان تنفيذ ذلك النظري في واقع الحياة إذ نجد النظريات التجريدية التي لا يمكن انزالها من سماء المثال إلى أرض الواقع. ونجد الممارسات البدائية الارتجالية الفجة التي لا يمكن الارتفاع بها من مستنقعات الواقع إلى سماء المثال في حين يقف الإسلام بتوافقه بين ضرورات الواقع ونسق المثال الباهرة وبين متطلبات الأرض ونداءات السماء.

ومن العنوانات التي تحيل على البعد العلمي مقالة (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) إذ إن القرآن الكريم يقدم منهجاً جديداً في البحث يقوم على التجريب والاختبار فضلاً عما قدمه في عدد من آياته للنماذج العلمية بوصفها معطيات جاهزة تكشف عن بعض حقائق الكون وأسراره ونواميسه. وبهذا نجد التوافق واضحاً بين معطيات العلم وطروحات القرآن الكريم. ومن ذلك أيضاً عنوان مقالة (سورة الحديد: يا لها من تسمية) الذي يحيل إلى دلالة علمية مهمة هي ارتباط الإنسان بالأرض من خلال ما تحويه سورة الحديد التي جاءت باسم خام من اهم خامات الأرض وأخطرها. وبهذا يعطي العنوان دلالة على أن القرآن الكريم يعرض نزعة التحضر والابداع والبناء من أجل أن يشد الإنسان إلى الأرض ويدفعه إلى التنقيب فيها من أجل اعمارها وحماية هذا العمران عن طريق الحديد الذي يتعلم كيف يصوغه للحماية والنصر كما يحيل العنوان على منهج القرآن الكريم في طرح تأمل الإنسان للكون ليصل به إلى الله تعالى ومن ثم يدرك قدرته الخلاقة واحاطته الشاملة ومن ثم الكشف عن القوانين التي تحكم العالم والكون ومحاولة الاحاطة باكثر قدر منها فيما يُعرف اليوم بالعلوم النظرية المحضة ثم يتحرك الإنسان باتجاه استخدام هذه المعرفة العلمية للقوانين الطبيعية استخداما تطبيقياً في واقع حياته من أجل تغيير هذا الواقع نحو الأحسن والأرقى.

ب. اللغة: تحقق العنوانات الفرعية للمجموعة المقالية ثلاثة مسائل ملفتة للنظر على مستوى اللغة هي: استخدام الصفات والادوات والجمل الاسمية إذ تحوي حشداً كبيراً من الصفات التي تنعت الموصوف. من ذلك عنوان مقالة (المشروع الدائم) إذ وصف الكاتب المشروع الذي هو (الإنسان المسلم) بـ (الدائم) لانه يقوم بحركة متدفقة في الذات والمجتمع ويسعى إلى التشكل والتغير ولا يكف عن طموحه إلى بلوغ الكمال الذي ليست له حدوداً نهائية أو قد وضع لها تصميم مسبق. ومن ذلك عنوان مقالة (التوازن المعجز) إذ وصف الكاتب (التوازن) بين الفردية والجماعية أو بين الذات والمجموع بـ (المعجز) لما يحمله هذا التوازن من وحدة حيوية تصل حد الروعة والجلال والتناسب بين اعماق النفس البشرية واعطائها الحق العادل الاصيل وبين الجماعة واعطائها حق الدم والحياة. ومن ذلك عنوان مقالة (الصلاة: ذلك التناظر المدهش) إذ وصف الكاتب (التناظر) في الصلاة بصفة المدهش إذ يبرز جانب التناظر والاتساق بشكل مدهش يحمل

الجدة والجمالية على مر العصور. فالمدهش في التناظر الجميل الذي يحمل من خلفه قلوباً وارواحاً يعمرها الحب والإيمان واليقين باداء الصلاة.

ومن العنوانات التي جاءت تركز على الادوات بما فيها ادوات الجر والشرط والعطف هي: (من مسيلمة الكذاب إلى الدكتور) (أفرُ من قدر الله إلى قدر الله) باستخدام أدوات الجر من والى لتحديد البدء والانتهاء. (إذا لم يكن الإلحاد فماذا يكون) (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) باستخدام ادوات الشرط بان الالحاد غباء وعندما لا يكون هكذا فيكون التساؤل أو إثبات كذب الذين لم يحيطوا بعلم الله تعالى: (موقف الإيمان والمحبة) و(معطيات الصدق والتوحد) عن طريق ادوات العطف في الجمع بين الإيمان والمحبة لكي ينشأ عنهما الفعل الصحيح، والجمع بين الصدق والتوحد ليكون الموقف متكاملاً.

وبعد الاطلاع على العنوانات الفرعية نجد كثرة استخدام الجمل الاسمية في بنائها إذ كانت العناوين بهذا النمط من الجمل في اثنين واربعين مقالة من أصل أربع وأربعين أي أن عنوانين فقط جاءا بالجملة الفعلية هما (أفرُ من قدر الله إلى قدر الله) و(جربوا بانفسكم) إذ بدأ الأول بالفعل المضارع للمتكلم (أفرُ) في حين بدأ العنوان الثاني بفعل أمر موجه إلى الجماعة (جربوا). ونستنتج من كثرة استخدام الجمل الاسمية وعلاقتها برأي الكاتب أن آفاق القرآن الكريم قد ثبتت في البدء والانتهاء وما بينهما تتحرك ازاء العالم لتثبت ما اراده من افكار ورؤى وطروحات فكما أن الاسم يلتصق بصاحبه فالآفاق التصقت بالقرآن الكريم ولا تكاد تفارقه. وهذا لا يعني نفي الحركة بقدر ما هو ثبات بدءاً وانتهاءً مع قمة الحركة فيما بينهما ولكن الأصل هو الثبات.

ج. التعبير: قدمت العناوين الفرعية للمجموعة تعبيراً يعتمد التشبيه والاستعارة والكناية والتقابل. ومن ذلك مقالة (الكلمة: فعلٌ يثور ويلتزم) إذ شبه الكاتب الكلمة بالفعل الثائر والملتزم إذ تحمل الكلمة ايجابياتها بالإيمان والحركة. ومن ذلك عنوان مقالة (الكلمة عندما تشيخ) إذ يشبه الكاتب الكلمة بشيخ عندما يصل مرحلة العجز وتكون حركته بشكل غير صحيح فتصبح الكلمة ظلاماً لا تصدر نوراً وتكون بموقف سلبي على عكس ما تكون عليه الكلمة التي تقوم على المبدأ الصحيح.

ومن العنوانات القائمة على الاستعارة عنوان مقالة (العمل الذي يهز أفئدة الناس) إذ شبه الكتاب (العمل) بالفنان وأبقى لازمة من لوازمه وهي (يهز) على سبيل الاستعارة المكنية إذ ان العمل الفني الذي لا يؤثر في الناس لا يحقق ابداعه على مستوى الواقع. ومن ذلك عنوان مقالة (القرآن والكلمة المقاتلة) إذ يشبه الكاتب الكلمة بمقاتل وأبقى لازمة من لوازمه وهي فعل القتال إذ لابد للكلمة ان ترفع سلاحها الأبدي لتنقض على مواقع الظلم وتحقق عالم الخير وبهذا تحقق الكلمة فعلها القتالي بالالتزام كما في التعبير التشبيهي السابق.

ومن العنوانات القائمة على الكناية (المعادلة المركبة) إذ إن المبادئ التي جاء بها الإسلام أشبه بمعادلات من الدرجة الرابعة لا يقدر على فهمها وحلها الا الرجال الذين أوتوا قدراً كبيراً من التخصص والذكاء إذ تعتمد هذه المعادلة في تكشفها على النتيجة الباهرة. وفي هذا التعبير كناية عن عظمة مبادئ الإسلام في تكاملها وتوازنها ودقتها واعجازها.

ومن العنوانات القائمة على التقابل مقالة (نكون مهندسين أو لا نكون)، فالكاتب الصحيح أن يكون بمقام المهندس يعتمد في كلمته التقابل والتناظر والتناسب وأن يلتزم العلم والجمال والمحتوى والأسلوب في آن معاً أي يعتمد الرؤية الشمولية وألا يكون على وفق النظرة التجزيئية للمواقف والأفكار والأشياء التي لا يتم منها تقييم موضوعي لأية قضية من القضايا المتجددة في ميادين الفكر والحياة أي لابد من الجمع بين الفكر والجمال لتحقيق الموضوعية والذاتية فأما أن يكون الكاتب مهندساً وهذه هي الصورة الأولى التي تقابلها الثانية وهي ألا يكون مهندساً.

المبحث الثاني: المقدمة

يأتي الاستهلال في النص النثري بمثابة المقدمة إذ يقصد به "بدء الكلام وبناظره في الشعر المطلع. وفي فن العزف على الناي: الافتتاحية فتلك كلها بدايات تفتح السبيل إلى ما يتلو"[٢٧]. فالاستهلال لابد من ان ينال عناية الكاتب بشكل كبير لاسيما إذا عرفنا ان القارئ المعاصر لا يمكن المرور معه بأدوات تعبير قديمة فضلاً عن مهمة الاستهلال في جذب انتباه المتلقي. ومن هنا تكون غايته فنية معقدة من حيث علاقته المتناوبة مع النص فهو يمتد للدخول اليه أو هو نواة تحمل صفات النص بشكل موجز مكثف كما يسعى الاستهلال إلى تشكيل مفردات النص مما له الأثر في إعطاء أبعاده الكاملة[٢٨] ومن هنا تكون الوظيفة الجوهرية للاستهلال هي بيان غاية النص وغرضه الأساس[٢٩] ويمكن ان يكون الاستهلال في المقالة بجملة أو بجملتين أو أكثر يقدمها الكاتب وهو تحت عبء الأفكار والصور التي تختزنها ذاكرته الفنية والثقافية والاجتماعية والتاريخية[٣٠].

يعتمد عماد الدين خليل في مقدمات مقالاته على أسلوبين هما: الأول استهلال المقالة بتعبيره والثاني استهلال يعتمد على أقوال الآخرين. ويأتي الأول بشيء من التطويل لتقديم الرؤية الخاصة للكاتب في حين يأتي الثاني موجزاً بتقديم القول ومن ثم إعطاء رؤية الكاتب فيما بعد.

١. استهلال المقالة بتعبير الكاتب: يعتمد الكاتب في هذا النمط من الاستهلال على تعبيره الخاص بتشكيل مفردات خاصة به تعبر عن رؤيته للموضوع. ومن ذلك استهلال مقالة (المشروع الدائم) إذ يقول: يمكن اعتبار "الإنسان المسلم": "مشروعاً دائماً"، بما أنه حركة متدفقة في الذات والمجتمع، وسعي أبدي لا يتوقف عن التشكيل والتغير، ولا يكف عن الطموح إلى الكمال الذي لم يضع له الإسلام حدوداً نهائية أو تصميماً مسبقاً!![٣١].

يقدم الكاتب رؤيته على وفق هذا الاستهلال، إذ يصف الإنسان المسلم بأنه مشروع دائم في الحياة ليدخل فيما بعد إلى صلب الموضوع وعرضه بعد أن قدم من الكلام ما يجذب فيه انتباه المتلقي إذ لا يكتفِ بوصف الإنسان المسلم بالمشروع الدائم بل يعلل ذلك بحركته وسعيه وطموحه. فبهذه الصفات استطاع الكاتب أن يثبت رؤيته فيما يتعلق بالمشروع الدائم الذي جعله عنواناً لمقالته.

ومن استهلال المقالة بتعبير الكاتب مقالة (التوازن المعجز) إذ يقول: أن من أروع الجوانب في بنيان الإسلام وحبكته الإلهية المعجزة هو هذا التوازن الفذ بين الفردية والجماعية وهذا التناغم الذي يشد المؤمنين في وحدة حيوية تصل حد الروعة والجلال، هذا التناسب بين التوغل بعيداً في أعماق النفس البشرية للإجابة عن أسئلتها وتنفيذ أشواقها، ومنحها حقها العادل الأصيل.. وبين الامتداد الكامل إلى كل مساحات الجماعة لتلبية نداءاتها واعطائها دائماً الدم والحياة(٣٢).

يعتمد الكاتب في هذا الاستهلال على رؤيته الخاصة عن سمة التوازن في الفكر الإسلامي إذ يوازن بين ثنائيات عديدة ولاسيما عند الإنسان إذ لم يغرقه في المادية كما عند الجاهليات الغربية المعاصرة، ولم يغرقه في الروحانيات التي تقوم على كبت الجسد وتحقيره واهمال مطالبه بل أخذ الإسلام بجانب من المادة بغير إفراط واخذ جانب من الروح بغير إفراط أيضاً. وجعل ثنائية المادة والروح على الشكل تكوينين متكاملين لا ينفي احدهما الآخر ولا يلغي وجوده. ومن هنا جاء التوازن المعجز بين فردية الإنسان وجماعته بحيث يعطي لكل ذي حق حقه الأصيل فكما يعطي الفرد حقه العادل الأصيل يعطي للمجموع الذي يمتد إلى كل مساحات النفس البشرية الحق الدائم لتلبية متطلباته أيضاً.

ومن استهلال الكاتب بتعبيره الخاص مقالة (كتاب ليس كالكتب) إذ يقول: هنالك آيات قرآنية تقدم بكلمات موجزة، وأسلوب معجز في التعبير "مواقف" أساسية في الكون والحياة يبلغ من قوتها وعمقها وامتدادها وتماسكها، ما تجعل الإنسان معها يقف معجباً دهشاً، مأخوذاً بهذا التركيز الذي يمنحنا – بلمسات فحسب – أشد المواقف خطورة وحسماً.. وتقوده من ثم إلى أعماق درجات الإيمان الواعي البصير، ليس في أن هذا الكتاب لا يمكن أن يجيء إلا من عند الله فحسب، بل إلى التسليم المطمئن الكامل لمعطيات دين عظيم هذا كتابه وتلك مواقفه الكبرى!!(٣٣).

يقدم الكاتب استهلال مقالته على وفق رؤيته الخاصة في أن الآيات القرآنية تقدم موضوعاتها من حيث الأساليب والمواقف فالأسلوب يتميز بالإيجاز والتكثيف والإعجاز في بلاغته وفصاحته وبيانه في طرح مواقف متعددة ولاسيما عن الكون والحياة تقدم العبرة والعظة للإنسان لكي يصل بها إلى أعلى درجات الإيمان الواعي المتبصر بما حوله، ولا يكتفِ الكاتب

بإعطاء هذه الرؤية وإنما يذكر أن هذا الكتاب وآياته هي معطيات لدين عظيم له هـذه المواقـف الكبرى تجاه الكون والحياة.

٢. استهلال المقالة بأقوال الآخرين: يعتمد الكاتب في هذا النمط من الاستهلال على ذكر أقـوال الآخرين، ثم ينطلق من أقوالهم لتقديم رؤيته الخاصة. ومن ذلك استهلال مقالة (الكلمة: فعل يلتزم ويثور) إذ يقول سارتر: "إذا لم يكن الأديب حليفاً للمظلومين فلن يكون إلا شريكاً للظالمين"(٣٤).

يذكر الكاتب في استهلال مقالته صاحب القول وهو سارتر الذي قدم بالمقولة رأيه فـي وظيفة الأدب بحسب مذهبه واتجاهه الأدبي وهو بأن الأديب لابد أن ينصر المظلـومين ليكـون نصه الأدبي على مستوى الواقع. أما إذا لم يتحقق هذا المطلب في الأدب سيكون هذا الأديب فـي شراكة مع الظالمين الذين يظلمون أخوتهم بني البشر.. وينتقل الكاتب من قول سارتر إلى تعليـق يخص الأدب الإسلامي فيقدم التساؤلات عن الأديب الذي يلتزم بالموقف ؟ وعن الأديـب الـذي يكون جديراً بمعرفة (هو مع من) مع المظلومين أم مع الظالمين. وعلى هذا فالكلمة التي يقولهـا الأديب لابد أن تكون حقاً لتتحول إلى فعل ليس على سبيل القول فقط أي تحقـق وظيفتهـا فـي المجتمع وتنصر المظلومين على الظالمين وأن تكون على وجه العدل واثبات الحقوق والمبـادئ الأصيلة.

ومن استهلال الكاتب بأقوال الآخرين مقالة (من مسيلمة الكذاب إلى الدكتور) إذ يقـول: أريد أن أحطم هذا الدين !! عبارة "مألوفة" قالها يوماً ودرس لغة عربية في لحظة مـن لحظـات غضبه وثورته.. ولم يستطيع الرجل – بطبيعة الحال – أن ينفذ وعده.. وقد ركب موجة الإرهاب الحمراء عام ١٩٥٩ عله يصل إلى أهدافه(٣٥).

يقدم الكاتب في استهلاله العبارة التي قالها مدرس اللغة العربية فضلاً عن تقديم الحالـة النفسية التي كان يمر بها عندما قال العبارة، ومدى تحقيقها على مستوى الواقع مع تحديد اتجاهه الفكري الذي يوضحه الاستهلال بأنه شيوعي الفكر والمذهب وصاحب أقوال لا أفعال لانه لـيس بامكانه أن يحطم هذا الدين الذي يتكفل الله تعالى رعايته وحفظه، ولا تنفع هذا المدرس الموجـة التي ركبها ألا وهي موجة الإرهاب الحمراء عام ١٩٥٩. فهذه الموجة تريد أن تـصل بأفرادهـا إلى شاطئ الأمان بتحقيق أهدافها المنشودة على حساب المبادئ، ولكن لا يتحقـق لهـا هـذا لأن الأصالة في المبادئ والأهداف تبقى هي المتفوقة حتى لو ضعفت تعود من جديـد إلـى تألقهـا وبهائها ونضارتها.

المبحث الثالث: عرض الموضوع

يفكر الكاتب بعد الانتهاء من مقدمته (الاستهلال) إلى دخول متن النص من دون تعمـل أو طفرة مفاجئة مبتورة. فهذا الدخول هو حسن التخلص أو حسن الانتقال الذي يبدأ بـه عـرض

الموضوع بعد أن يطمئن الكاتب على كسب اهتمام القارئ بالاستهلال فيميل إلى المسامرة المحببة على ما يذكره من مواقف طريفة أو ساخرة أو تندر خفيف[٣٦] وعلى هذا فالتخلص هو "أن يأخذ المؤلف الكلام في معنى من المعاني، فيبين هو فيه إذا أخذ معنى آخر غيره، وجعل الأول سبباً اليه، فيكون بعضه آخذ برقاب بعض من غير أن ينقطع بكلامه ويستأنف كلاماً آخر بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً"[٣٧] وعلى هذا يكون حسن التخلص بالانتقال من المقدمة إلى الموضوع منه إلى الخاتمة من دون قطع.

يستخدم عماد الدين خليل في مقالات مجموعته أسلوبين في عرض الموضوع: أولهما الانتقال في عرض الموضوع من الكلي إلى الجزئي، وثانيهما الانتقال في عرض الموضوع الجزئي إلى الكلي لاعطاء رؤيته الخاصة.

١. الانتقال في عرض الموضوع من الكلي إلى الجزئي: يعتمد الباحث في هذا النمط من الانتقال في عرض الموضوع على اعتماد المسائل الكلية ثم ينتقل بها إلى التفصيل بالجزئيات لإعطاء الموضوع حقه الكامل. ومن ذلك مقالة (الكلمة عندما تشيخ)[٣٨] فبعد أن يقدم الكاتب استهلاله الذي يقدم فيه الموضوع كلياً ألا وهو المفردات اللغوية التي شبهها بالكائن الحي ينتقل إلى بيان جزئياته فيما يتعلق بإيجابياته وسلبياته فيقول: ولا يتصور أحد أن هذه السمة تحمل في ثناياها صفة (الإيجابي) فحسب بل هي تحتوي في الوقت نفسه كل السلبيات التي ترافق أية (حياة) متحركة متطورة غير جامدة ولا ساكنة.

وبعد أن يحدد الكاتب الإيجابيات والسلبيات يبين أسباب إرهاق الكلمات التي يصلها إلى الشيخوخة ومنها التكرار فيقول: وأبرز تلك السلبيات تعرضها – بمرور الزمن – للشيخوخة والذبول،وفقدان البريق الزاهي التي كانت حروفها تشعه أيام الشباب هذا فضلاً عن غياب روحها الحقيقية ونقائها الذاتي وتواريهما خلف حجب ضيقة اقامتها مسيرة الزمن بحيث يغدو من الصعوبة بمكان التعامل العفوي مع المضمون الأصيل والدلالة الحقيقية للكلمة كما كانت الحال أيام صباها وشبابها فيتوسل اليها باعمال الذهن والرجوع إلى المعايير والتحليلات المعجمية علها تمزق الغطاء عن أعيننا وتوقفنا على جوهر الكلمة الأصيل. وشتان بين أن تعطيك (الكلمة) بعفوية ودونما تكلف، روحها وجوهرها، وبين أن تسعى أنت، بأساليب غير مباشرة إلى التوصل لحقيقة هذه الروح وربما لن تصل أبداً.

ويتعرض الكاتب لمفردة الذكر، ويوازن بين جوهر الكلمة ودلالتها أيام صباها وبين ما توحي به اليوم وهكذا إلى أن يصل إلى الحديث عن موت الكلمات أو مرحلة الشيخوخة. وأخيراً يبين أن لابد من إعادة الحياة إلى الكلمات وأن تفجر فيها مرة أخرى أرواحها الأولى بأكثر جدية

وايجابية في التعامل. وبهذا سوف يتكشف الجوهر الأصيل ولاسيما كلمات الله تعالى المعجزة التي ما لها من نفاذ التي عرج عليها الكاتب في الخاتمة[٣٩].

ومن الانتقال في عرض الموضوع من الكلي إلى الجزئي مقالة (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) فبعد أن يقدم الكاتب استهلاله عن نداء القرآن الكريم للإنسان بالارتفاع فوق مستويات الخوف والحزن الذي يقدم فيه الموضوع كلياً ينتقل إلى عرض جزئياته وهي الحزن على ما فات الإنسان والخوف من عدم حصول ما يتمناه، ويأتي هذا من الاحساس الثقيل المرهق بالفرصة فيقول الكاتب: أن جل آلامنا ومخاوفنا وأحزاننا ومآسينا تنفجر من إحساس ثقيل مرهق بأن فرصة ما قد فاتتنا، وبأن فرصة ما ستفوتنا عما قريب.. فيسحقنا الندم، ويشلنا الحزن عن الانطلاق الدائم صوب الأمام، من أجل أن نحظى بمزيد من الفرص، ونتحقق بمزيد من الانتصارات.

وبعد أن ينتهي الكاتب من بيان الإحساس الثقيل المرهق الذي يعانيه الإنسان ينتقل إلى بيان عواقبه وهي التحسر والوعي بالارتداد إلى الماضي ثم يضع الحل أمام الإنسان بأن يتجرد عن الجزئيات التافهة ويرتفع بها إلى أعلى مستوى من دون الاهتمام بما هو زائل فيقول: إن الأسى على فوات شيء أو فرصة ما، غل ثقيل يأسر الإنسان ويرتد بوعيه إلى الماضي لكي يسفح عند نصبه الدموع ويستل الحسرات دون أن يتاح له أن يخطو خطوة واحدة من أرضية الحاضر صوب المستقبل.

وأخيراً يركز الكاتب على الفرح الكبير الأبدي العميق للإنسان من دون تحديد زمانه ماضياً كان ام مستقبلاً لكي ينطلق به متخلصاً من الهموم والأثقال والأحزان للتعبير عن الوجود وصولاً إلى الخاتمة التي يبين فيها بشكل موجز ما عرضه في المقالة منذ بدايتها[٤٠].

ومن اعتماد الانتقال بالموضوع من الكلي إلى الجزئي مقالة (أسطورة الانعكاس والرفض) إذ يبدأ الكاتب استهلال مقالته بقوله أن الكلمات والتعابير والآيات والمشاهد الخاصة في القرآن الكريم بالتعبير عن الجحيم واللهب كثيرة جداً ثم ينتقل من هذا الموضوع الكلي إلى جزئياته فيذكر رأي المستشرقين في هذه الكثرة الواضحة لكل ما هو حار الا وهو الانعكاس الحتمي لظهور القرآن الكريم في مكة تلك البيئة الصحراوية الحارة فيقول ومنها استنتج بعض المستشرقين والباحثين (الجدد) وفق مناهج (بحثهم) المعروفة حقيقة تصورها غاية الموضوعية والأهمية، تلك هي أن هذه "الكثرة" الواضحة لكل ما هو حار، يكوي !! ويتفجر بالحمم واللهب، انما جاءت انعكاساً حتمياً لظهور القرآن في بيئة صحراوية، حارة يفترس قيظ الصيف أبناءها، ويمتص حر الظهيرة كل ما في أجسادهم من ماء.. ومن ثم كان "الحر" عدوهم اللدود، والشبح الذي يطاردهم معظم ساعات النهار، وجلّ أشهر السنة.. فإذا أردت أن تخوفهم وترعبهم وتلقي النغصة في نفوسهم صورت لهم "اليوم الآخر" كذلك جحيماً لا يطاق حره، قائظاً يتفجر باللهب،

غاضباً تنادي جمراته المخيفة بالويل والثبور، وبهذا التخويف المستمد من واقع التجربة الصعبة، سيذعن العربي ويطيع للدعوة الجديدة وإلا فانه، في حياته الباقية سيخلد في نار هائلة لا تبلغ نار صحرائه منها القطرة من البحر العباب !!

وبعد أن يبين الكاتب آراء المستشرقين في سبب كثرة ورود الجحيم الحارة ينتقل إلى عرض مشاهد صور العذاب النفسي والحسي في القرآن الكريم التي تتجاوز حدود الحر والقر ومن ثم مسائل الطعام والشراب والهجر والقطيعة والنفي والاحتقار، ويدخل من هذا الموضوع الجزئي إلى بيان الرؤية القرآنية بعدم ممارستها الازدواجية والثنائية بين الواقع والمثال وانما التنجيم فيقول: إن القرآن ما جاء لكي يمارس ازدواجاً وثنائية بين الواقع والمثال.. انما تنزل منجماً، وعلى مكث لكي يلامس الوقائع ويوازيها، معلقاً، موضحاً، متقبلاً ومفنداً، ولنا أن نطلع على أسباب النزول لكي نرى ثقل هذه الواقعية والمباشرة التي عن طريقها تمكنت كلمات الله من الانتقال العملي بالعرب من حال إلى حال. فصاغتهم صياغة جديدة ونقلتهم إلى عالم جديد. وفي ختام المقالة يصل الكتاب إلى ذكر عالمية القرآن الكريم وتناغمه بين الواقعية والشمول وبين الجزء والكل وبين الآنية والمطلق وصولاً إلى ذكر حفظ الله تعالى لهذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل.

٢. الانتقال في عرض الموضوع من الجزئي إلى الكلي: يعتمد الكاتب في هذا النمط من الانتقال في عرض الموضوع على المسائل الجزئية التي ينتقل منها بشكل أوسع لتظهر المسألة بكليتها. ومن ذلك مقالة (نحن نعيش أزمتين)[٤١] إذ يبدأ الكاتب باستهلال مقالته بتساؤل عن سبب إصابة المسلمين بالأمراض النفسية والعصبية والعضوية التي يصاب بها الغربيون من ذلك: القلق والانهيار العصبي وضغط الدم والقرحة والاكتئاب، ثم يتساءل من جديد عن السكينة التي يلقيها الإيمان في القلوب والسلام الذي يغمر النفوس، ودورهما في عدم الإصابة بمثل تلك الأمراض. فمن هذا الموضوع الجزئي ينتقل الكاتب بكلياته لتحليل هذه الجزئية فيصور جزئية الأزمة التي يعيشها الإنسان المسلم مقارنة بالإنسان الغربي فإذا كان الغربي يعيش أزمة سطحية واحدة فالمسلم يعاني أزمتين هما أزمة ضياع الروح والأرض فما علينا كما يقول الكاتب: إلا أن نمارس تجربتنا العظيمة، المتوحدة، المنقذة، وأن نريها للبشرية قائمة مجسدة ونعلمهم أن الطريق الوحيد هو هذا.

بعد أن يوضح الكاتب أزمتي الإنسان المسلم ينتقل إلى جزئية أخرى هي مسألة الدمار الذي يعاني منه الإنسان الغربي المعاصر على مستويات الذات والمجتمع مقارنة بتماسك الإنسان الشرقي، ومن ثم ينتقل إلى ذكر الحضارات وكيف تنتقل على وفق الواقع ووجود الإنسان الفعال لا على سبيل الاحلام والأماني فيقول: ليس انتقال الحضارات بالأحلام والأماني.. إنها لا تنتقل

من قارة إلى قارة أو من مكان إلى مكان، إلا بأن تتهيأ لها مسبقاً، أرضية صالحة من الإنسان الفعال نفسه ومن الجماعة المتماسكة المبدعة، لأن الله سبحانه ﴿**لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾.

وينتقل الكاتب إلى جزئية ثالثة هي الدمار الأخلاقي والروحي الذي يعانيه الغرب الذي يقابله دمار وتحطم أشد وأنكى في الشرق للوصول إلى كلية الموضوع في الخاتمة الا وهو العمل الخلاق للإنسان والجهد المبدع والتغيير الدائب لتحقيق النقلة الحضارية.

ومن الانتقال بعرض الموضوع من الجزئي إلى الكلي مقالة (واحد + واحد = اثنان)[٤٢] إذ يقدم الكاتب في الاستهلال مسألة الالتزام بالصراط المستقيم التي يؤكدها القرآن الكريم ويؤكد أنها نابعة من الله سبحانه وتعالى. أما الذين يختارون الظلمات فيصدرون ذلك عن إرادة الله تعالى أيضاً. فهذا الموضوع الجزئي ينتقل فيه الكاتب إلى كلياته عن طريق تقديم الحجج المنطقية لما ذكره في الاستهلال. ويبدأ أولاً بحقيقة التوحيد في الكون ثم الاقتناع الذاتي ثم الإيمان المتبصر الذي سيصل بالإنسان كما يقول الكاتب إلى هدفه بمعونة الله تعالى وقدره، والذي يتنكر لها رغم دلائلها التي لا تحصى في صفحة الكون، مستعيضاً عنها بما هو أكثر سهولة وأرخص مطلباً، سيضل الطريق بإرادة الله تعالى وقدره !!

ويأتي الكاتب بجزئية ثانية إذ يوضح أن الهدى والضلال الإلهيان ينبثقان عن اسبابهما الطبيعية اعتماداً على النواميس الالهية التي رتبت المسببات على الأسباب فيقول: وما دام الإنسان يملك العقل الذي يميز به بين الخير والشر، والارادة التي (ينفذ) بها حركته عبر هذا الدرب أو ذاك، فأن (مسؤوليته) تقع على عاتقه ابتداءً من مرحلتي التصميم والتنفيذ على السواء. ويجيء قدر الله ايصالاً إلى النهايات التي تنسجم تماماً مع البدايات حيث يعرض الله سبحانه بعلمه الذي وسع كل شيء الطينة التي اختار الإنسان أن يحيل منها وجوده ومصيره.

وأخيراً يكمل الكاتب الموضوع بجزئية ثالثة هي ذكره أن إرادات البشرية ونشاطاتها العقلية إنما تدور وهي تعمل في الفلك الأخير للارادة الالهية وتكون بدورها سبباً في تنظيمها الكوني للمصير. ويوضح الفرق بين مصائر الاشياء وبني آدم فيقول: وثمة فرق أساس بين (الأشياء) التي تنساق إلى مصائرها دون (تعقل) منها أو (إرادة) وبين بني آدم وهم يسهمون بأنفسهم في اختيار مصائرهم فيكونون مؤمنين أو كفاراً. ويصل الكاتب إلى خاتمة مقالته التي يوضح فيها أن بمقدور الإنسان في أية لحظة من عمره الطويل أن يعدل من اختياراته السابقة لكي يمارس اختياراً جديداً في حالة توفر النية القاطعة في التوبة والرجوع إلى الله تعالى.

المبحث الرابع: الخاتمة

لابد أن يعنى الكاتب بخاتمة مقالته عناية لا تقل عن اهتمامه بالمقدمة فينظر من الزاوية نفسها التي نظر من خلالها إلى استهلاله من حيث الاهتمام بالمتلقي[٤٣] إذ انتبه النقاد العرب القدامى على أهمية الخاتمة في البناء العام للنص الأدبي لانها في رأيهم (قاعدة العمل الفني) وآخر ما يبقى في الاسماع والاذهان وإذا كان الاستهلال مفتاحاً للنص الأدبي فالخاتمة قفلاً له[٤٤]. وبهذا تكون الخاتمة نتيجة طبيعية للمقدمة والعرض فغالباً ما ينهي الكاتب مقالته بآية قرآنية كريمة أو بحديث نبوي شريف أو بيت من الشعر يتمثل به أو بحكمة بالغة أو بمثل أو ما هو في قوتهما من عباراته التي تكون واضحة الدلالة والتأثير[٤٥] وبهذا تكون الخاتمة تلخيصاً لموضوع المقالة ومحاولة لجذب عواطف المتلقي وفكره[٤٦]. ومما سبق تكون الخاتمة ثمرة المقالة وعندها يكون السكوت بشكل واضح صريح ولا يحتاج إلى شيء آخر لم يرد في المقالة[٤٧] لذا لابد من الاعتناء بهذه الثمرة عناية خاصة لتأتي المقالة على نسق واحد في ترابط أجزائه من المقدمة إلى عرض الموضوع انتهاءً بالخاتمة بشكل تسلسل[٤٨].

ومن خلال استقراء الخاتمة في مقالات مجموعة عماد الدين خليل وجدنا أنه يختم بعضها بآيات قرآنية كريمة ويختم بعضها الآخر بأحاديث نبوية شريفة أو بأبيات من الشعر. أما أغلبها فيكون بتعبيره الخاص الذي يقدم فيه رؤيته الشمولية للموضوع الذي تم عرضه.

١. انتهاء المقالة بآية قرآنية كريمة: يختتم الكاتب بعض مقالاته بآية قرآنية كريمة كما نجد في مقالة (إذا لم يكن الالحاد غباء فماذا يكون)[٤٩] إذ يقول: إلا أنه من الغباء بعينه يرين بضبابه الكثيف على البصائر والأفئدة والعقول، فيهبط بأصحابه إلى دركات الضلال. وصدق الله العظيم عندما يقول في أكثر من موضع: ﴿**أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٧٩). فالآية الكريمة التي يختم بها الكاتب مقالته تتناسب مع الاستهلال الذي كان بخصوص الإلحاد الذي لا يعدو أن يكون بلادة وغباءً مهما أدعى من علمية في إقامته على أسس مقبولة.

ومن ذلك أيضاً مقالة (لأنه يعلم السر)[٥٠] إذ يقول الكاتب: إذا ما أتيح لكم هذا وذاك ومئات غيرها من مواقف الدهشة والإعجاب والنفاذ في صميم خلق الله وإبداعه وجماله. قدرتم على أن تقفوا أمام كلمات الله وجلين مقشعري الجلود ... لأنه جل جلاله ﴿**يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ (سورة الفرقان، الآية ٦). فالآية الكريمة التي يختم بها الكاتب مقالته تتناسب مع الاستهلال الذي بدأه بالآية نفسها ﴿**يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ في الحديث عن قدرته تعالى وعلمه وعظمته.

ومن ذلك أيضاً مقالة (الحوار الخلاق)[٥١] إذ يقول الكاتب: ليس هذا فحسب، بل أن على الجان أيضاً، أولئك الذين يملكون قدره أكبر بكثير من قدرات بني آدم، بعد أن تحرروا من شد

المادة وعوائق التراب، هؤلاء أيضاً عليهم أن يلزموا حدودهم ومواقفهم، والا تطغيهم القدرات التي منحها الله اياها، فهنالك الحد الذين يعجزون عن تجاوزه، والتحدي الذي لا يقدرون على التصدي له.. وغيب الله واسع شامل بعيد لا يحصى مجرياته ومقاديره إلا الله. وسرعان ما يتبين للجن في ختام المشهد العظيم ﴿**أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾ (سورة سبأ، الآية ١٤) فالآية الكريمة التي يختم بها الكاتب مقالته تتناسب مع الاستهلال الذي بدأه بآيات من سورة سبأ التي يذكر منها الحق وصولاً إلى الآية التي ذكرها في الختام.

٢. انتهاء المقالة بحديث نبوي شريف: ينهي الكاتب مقالته (إنما الأعمال بالنيات)[٥٢] بحديث نبوي شريف إذ يقول: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. صدق الله وصدق رسوله. فالحديث التي اختتم به الكاتب مقالته يتناسب مع عنوانها واستهلالها الذي يذكر فيه ان مواقف الإنسان الخارجية يمكن أن تكون سلاحاً ذا حدين، ويأتي بالآيات التي تقدم التقييم للممارسات البشرية المختلفة بمقاييس دقيقة عادلة إزاء الجهد البشري وأخيراً يأتي بالحديث النبوي ليوضح أن الجهد البشري يقوم على نية القائم به.

٣. انتهاء المقالة ببيت من الشعر: ينهي الكاتب مقالته (من مسيلمة الكذاب إلى الدكتور)[٥٣] ببيت شعري إذ يقول: ولكن النتيجة تجيء دائماً مصداقاً لقول شاعرنا القديم

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ

فالبيت الشعري الذي ختم به الكاتب مقالته يتناسب تناسباً في غاية الدقة مع الاستهلال الذي بدأه بعبارة أطلقها مدرس لغة عربية شيوعي الفكر (أريد أن أحطم الدين) فالذي قاله كان كلاماً بلا فعل كحال ناطح الصخرة الذي لا يستطيع أن يوهنها فهكذا المدرس لا يستطيع أن يحطم الدين مهما فعل، لان الله تعالى قد تكفله بالرعاية.

٤. انتهاء المقالة بتعبير الكاتب: ينهي الكاتب مقالته (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه)[٥٤] بتعبيره الخاص فيقول: ويوم نحس تناقضاً واضحاً بين معطيات العلم وطروحات القرآن، وهذا بعيد الاحتمال، فانه لن يكون إلا نتيجة طبيعية لنسبية الحقيقة العلمية وعدم استقرارها، وتغيرها الدائم من جهة، والى يقينية القرآن الكريم ومعطياته التي منحنا إياها الله الذي وسع كل شيء علماً.

فالخاتمة لهذه المقالة هي حصيلة الموضوع الذي بدأ به منذ الاستهلال عن المسائل العلمية في القرآن الكريم فيقدم في الخاتمة رؤيته الإسلامية بأن الحقيقة العلمية نسبية أما معطيات القرآن الكريم فهي يقينية لأنها من علم الله تعالى الواسع وهذا ما يتناسب مع عنوان المقالة أيضاً.

وينهي الكاتب مقالته (موقف الإيمان والمحبة)[٥٥] بتعبيره الخاص إذ يقول: ولكن ما دامت الكتلة الإسلامية الأكبر والأوسع دائما، هي الأذكى والأعمق ايماناً، والأصدق محبة لله،

والأكثر تشعباً بروح القرآن ... ما دامت هي الأثقل والأشد تعبيراً عن روح الإسلام والتي تحطمت إزاءها كل المحاولات المنحرفة الغريبة وتبددت كل الفقاعات الفرقية المتعصبة المتطرفة فلن يخشى على الإسلام. ولن يكون المستقبل الا لهذا "الدين" !!

تعد الخاتمة لهذه المقالة بمثابة المحصلة النهائية للموضوع كله الذي بدأه في الاستهلال بأن المسلم العميق الإيمان والصادق لمحبة الله تعالى حتى أعماقه بالقرآن الكريم يقف دائماً في الموقع الصحيح المنطقي الوسط على وفق فطرته النقية ووجدانه الديني وفكره الإيجابي الملتزم وهكذا تناسبت الخاتمة مع المقدمة وعنوان المقالة (موقف الإيمان والمحبة) لتقديم فكرة عدم الخشية على هذا الدين لمواصفات المسلم التي تقوم على الإيمان والمحبة فليس بمقدور أية محاولة منحرفة غربية متعصبة متطرفة أن تؤثر فيه وذلك للبعد الإيماني الأصيل الذي يحمله المسلم.

وينهي الكاتب مقالته (جربوا بأنفسكم)[٥٦] بتعبيره الخاص إذ يقول: جربوا بأنفسكم ذلك، اختبروا صدقه. ليس في بيوتكم ونواديكم. ولكن في المقابر لحظة مواراة بجثة صديق أو قريب التفتوا إليها بعد دقائق من مغادرتكم المكان، وحيدة، مهملة، منقطعة في الصحراء، أمن من الممكن أن تكون هذه هي نهاية الإنسان ؟!

يختتم الكاتب مقالته ما بدأها به بتساؤله: (وماذا بعد الموت) ويقدم تجربته التي مر بها وهو يشهد في مقبرة قصية خارج المدينة مواراة التراب على أربع جثث لأسرة واحدة اغتالتها يد أثيمة في منتصف ليلة سوداء واختفت عن الانظار. وبهذا تتناسب الخاتمة مع المقدمة وكذلك مع العنوان (جربوا بأنفسكم) أنها دعوة لمشاهدة موت الإنسان ودفنه في التراب فهذه هي نهاية الإنسان فهو من التراب ويعود اليه.

خاتمة البحث ونتائجه

- تحمل مجموعة عماد الدين خليل عنواناً رئيساً هو (آفاق قرآنية) فضلاً عن أربعة وأربعين عنواناً فرعياً إذ يتكون العنوان الرئيس من كلمتين آفاق قرآنية، وجاءت آفاق على شكل جمع تكسير ونكرة ولكنها أصبحت معرفة عندما جاء وصفها بـ (قرآنية) والمقصود من هذا العنوان المعنى المجازي على مستوى الفكر لا على مستوى المسائل المادية العلمية بأفق الكون وما إلى ذلك وهذا العنوان يحيل على النصوص المقالية التي جاءت بحسب رؤية القرآن الكريم إذ إن مضمونها هو الفكر الإسلامي يقدمها الكاتب للتأثير في المتلقي بموضوعاتها وفنيتها عن طريق ما يصاحب العنوان ومحتوى كل مقالة ضمن المجموعة.
- تحقق العنوانات الداخلية ثلاثة وظائف هي: الدلالة على وفق ثلاثة أبعاد: البعد الواقعي والبعد الفكري والبعد العلمي لتقديم رؤية الكاتب تجاه الموضوعات. واللغة باستخدام الكاتب ثلاثة مسائل ملفتة للنظر هي: الصفات والأدوات والجمل الاسمية للتعبير عن الآفاق القرآنية

التي ثبتت في البدء والانتهاء وما بينهما تتحرك إزاء العالم لتثبت ما أراده من أفكـــار ورؤى طروحات. أما التعبير فيعتمد التشبيه والاستعارة والكناية والتقابل لتقديم الرؤيـــة الـــشمولية للعنوان بعيداً عن النظرة التجزيئية للمواقف والأفكار والأشياء.

- يعتمد عماد الدين خليل في مقدمات مقالاته على أسلوبين هما: الأول استهلال المقالة بتعبيره والثاني استهلال يعتمد على أقوال الآخرين. ويأتي الأول بشيء من التطويل لتقـــديم الرؤيـــة الخاصة للكاتب في حين يأتي الثاني موجزاً بتقديم القول ومن ثم إعطاء رؤية الكاتـــب فيمـــا بعد.
- يستخدم عماد الدين خليل في مقالات مجموعته أسلوبين عند انتقاله في عرض الموضـــوع: أولهما الانتقال من الكلي إلى الجزئي، وثانيهما الانتقال من الجزئي إلى الكلي لاعطاء رؤيته الخاصة في عرض الموضوع.
- يختتم عماد الدين خليل بعض مقالات مجموعته بآيات قرآنية كريمة ويختتم بعـــضها الآخـــر بأحاديث نبوية شريفة أو بأبيات من الشعر. أما أغلبها فيكون بتعبيره الخاص الذي يقدم فيـــه رؤيته الشمولية للموضوع الذي تم عرضه.

هوامش البحث ومصادره ومراجعه

(١)ابو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـــ)، لسان العرب، دار صادر ودار بيـــروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦، مادة (قول): ٢١٠/١٤.

(٢)مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـــ)، القاموس المحيط، دار الجيل، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢: ١١٥/٢.

(٣)ربيعي عبد الخالق، فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار المعرفة الجامعيـــة، القـــاهرة، ١٩٨٨.

(٤)ينظر: محمد يوسف نجم، فن المقالة، دار الثقافة، ط٤، بيروت، ١٩٦٦: ٩٣-٩٤.

(٥)المصدر نفسه: ٩٥. وينظر: حسين نصار، المقالة في الأدب العربي، مجلة الفيصل، السعودية، العدد ١ السنة ١٩٧٨: ٦-٧.

(٦)نجم، المصدر السابق: ٩٥. وينظر: علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، المؤســـسة العربيـــة للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٣: ٢٩٤.

(٧)الطاهر، المصدر السابق: ٢٩٥. وينظر: عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه: دراسة ونقد، دار الفكر، القاهرة، ١٩٥٥: ٢٣٨. محمد صالح رشيد الحافظ، المقالة الأدبية في أدب احمد أمين، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٩: ٢٥.

(٨)زكي نجيب محمود، جنة العبيط أو أدب المقالة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨: ٣-٤. وينظر: السيد مرسي أبو ذكرى، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢: ٤٧-٤٨. وفاء رفعت العزي، فن المقالة الأدبية في العراق، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة الموصل، ١٩٩٧: ٧.

(٩)ينظر: نجم، المصدر السابق: ٩٦.

(١٠)ينظر: الطاهر، المصدر السابق: ٢٩٣. سعيد عدنان محمد، زكي نجيب محمود مقالياً، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب – جامعة الموصل، العدد ١٦ السنة ١٩٨٦: ٢٠٤.

(١١)عبد الجبار داؤد البصري، رواد المقالة الأدبية في الأدب العراقي الحديث، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥: ١٨.

(١٢)عبد الخالق، المصدر السابق: ١٤. وينظر: محمد عوض محمد، عن فن المقالة الأدبية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٥: ٧٦-٧٧. فائق مصطفى احمد، مصطلح المقالة في النقد العربي الحديث، مؤتمر النقد العربي الخامس، جامعة اليرموك، أربد – الأردن، ١٩٩٤: ٣.

(١٣)ينظر: نجم، المصدر السابق: ١٠٢-١١٨. قدام سعيد، المقالة في الأدب الجزائري الحديث، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٨٥: ١٨-١٩.

(١٤)ينظر: نجم، المصدر السابق: ١٣٠-١٣١.

(١٥)ينظر: المصدر نفسه: ١٣٢-١٣٣.

(١٦)نقلاً عن: محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق، مجلة عالم الفكر، بيروت، المجلد ٢٨، العدد ١ لسنة ١٩٩٩: ٤٥٥.

(١٧)جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، بيروت، المجلد ٢٥، العدد ٣ لسنة ١٩٩٧: ٩٨.

(١٨)الحافظ، المصدر السابق: ١٥٥.

(١٩)المطوي، المصدر السابق: ٤٥٥.

(٢٠)صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، دار نوبار للطباعة، ط١، القاهرة، ١٩٩٦: ٣٠٣.

(٢١)محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، سلسلة دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨: ١٦-١٧.

(٢٢)رومان ياكوبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك وحنون، دار توبقال للنشر، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩٨: ٣٣.

(٢٣)حمداوي، المصدر السابق: ١٠٠.

(٢٤)نقلاً عن: المطوي، المصدر السابق: ٤٥٩-٤٦٠.

(٢٥)سامح الرواشدة، تقنيات التشكيل البصري في الشعر العربي المعاصر، مجلة مؤتة للدراسات والبحوث، جامعة مؤتة – الأردن، المجلد ١٢، العدد٢ لسنة ١٩٩٧: ٥٠٦.

(٢٦)ينظر: عماد الدين خليل، آفاق قرآنية، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٨٢: ٣١٧-٣١٩.

(٢٧)أرسطو طاليس، فن الخطابة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢، بغداد، ١٩٨٦: ٢٣٥.

(٢٨)ياسين النصير، الاستهلال: فن البدايات في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٣: ٢٥-٢٦.

(٢٩)المصدر نفسه: ٣٨.

(٣٠)الحافظ، المصدر السابق: ١٥٩.

(٣١)خليل، المصدر السابق: ١٥.

(٣٢)المصدر نفسه: ٥٥.

(٣٣)المصدر نفسه: ١٩٥.

(٣٤)المصدر نفسه: ٣٥.

(٣٥)المصدر نفسه: ٤٩.

(٣٦)الخالق، المصدر السابق: ٧٥.

(٣٧) الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: احمد محمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، القاهرة، (د.ت): ٣/٢١.

(٣٨)خليل،المصدر السابق: ١١٧-١٢١.

(٣٩) المصدر نفسه: ١٤١-١٤٣.

(٤٠)المصدر نفسه: ١٦٥-١٦٩.

(٤١)المصدر نفسه: ٤٣-٤٥.

(٤٢)المصدر نفسه: ١٨١-١٨٣.

(٤٣)الحافظ، المصدر السابق: ١٦٥.

(٤٤)ينظر على سبيل المثال لا الحصر: أبو هلال الحسن بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٢: ٤٤٣.

(٤٥)نجم،المصدر السابق: ١٣١.

(٤٦)مجدي وهبة وكامل المهندس، معمم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مطبعـــة لبنـــان، ط٢، بيروت، ١٩٨٤: ٨٥.

(٤٧) نجم، المصدر السابق: ١٣١.

(٤٨)بسام خلف سليمان، المقالة عند محمود درويش، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب – جامعـــة الموصل، ٢٠٠١: ٧٩.

(٤٩)خليل، المصدر السابق: ١١٣.

(٥٠)المصدر نفسه: ١٧٧.

(٥١)المصدر نفسه: ٢٣٠.

(٥٢)المصدر نفسه: ١٩٢.

(٥٣) المصدر نفسه: ٥٢.

(٥٤)المصدر نفسه: ٣١.

(٥٥)المصدر نفسه: ١٠٠.

(٥٦)المصدر نفسه: ٢٩٤-٢٩٥.